مع المفتي الأكبر

فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية ، علم من أعلام الفقه الإسلامي في مصر والشرق ، يمتاز بعلم واسع ، ونظر صائب ، وفكر ثاقب ، وقد رأى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر أن ينتفع التعليم العالي بمواهبه ، فأسند إليه منصب « المراقب العام » على الكليات الأزهرية الثلاث ، فأصبح له بهذا المنصب ، وبشخصيته العلمية الجليلة ، مشاركة في الإشراف العلمي على شئون التعليم ، يرجى أن تحقق آمال الأستاذ الأكبر في الإصلاح

وفضيلته — إلى جانب ذلك — عضو بارز من أعضاء « جماعة كبار العلماء » له فيها نشاط محمود ، ورأي مشهود ، ومقام كريم

* * *

زرته في داره الحديثة الطراز التي بناها في ضاحية « كوبري القبة » فجاءت مثلاً رائعاً لمنظمة البناء ، وجمال التنسيق ، ودليلاً حاضراً على ما يستطيعه « العالم الديني » من جمع بين تقوى الله ، وأبهة الحياة

تلقاني فضيلته مرحباً ، وكنت منه على موعد ، فلما استقر بي المقام ذكرت له أن « الرسالة » تعتزم أن تصدر عددها الهجري الممتاز ، ويسرها أن تسفر بينه وبين قرائها الكرام في جميع أنحاء الشرق العربي بحديث يتصل بعمله في الإفتاء ، والرقابة العامة ، وجماعة كبار العلماء

فأبدى استعداداً كريماً لإجابة هذه الرغبة ، وأثنى على « الرسالة » ثناء جميلاً ، ذاكراً عنايتها الفائقة بشئون العلم والدين ، ودعوتها القوية للثقافة الإسلامية ، وقال : إنه يعلق على ذلك آمالاً عظيمة ، فإن للرسالة في نفوس المسلمين وأهل العروبة جميعاً مقاماً عظيماً ومنزلة سامية

فأجزلت لفضيلته الشكر على استعداده وحسن ثنائه ، ثم دار الحديث بيني وبينه على هذا النحو :

١ — في الإفتاء

قلت لفضيلته : إن منصب الإفتاء منصب جليل له بالفقه الإسلامي صلة عملية وثيقة ، وقد رسم الفقهاء المتأخرون للمفتي رسوماً لا يجيزون له أن يتعداها ، وألزموه أن يفتي بآراء عينوها له ، وكثيراً ما يذكرون الحكم ويتبعونه بقولهم : « وبه يفتى » ، أو « وعليه العمل » ونحو ذلك ؛ فهل تلتزمون فضيلتكم هذه الرسوم فيما تصدرون من فتوى ، ولا تخرجون عن هذه الأقوال ؟

فأجاب قائلاً : إن الفتاوى التي أصدرها على نوعين : نوع يتصل بالقضاء الشرعي والجهات الرسمية ، وهذا أفتي فيه بما هو الراجح من مذهب أبي حنيفة ، لأن المستفتي يطلب ذلك في استفتائه ، ولأن هذا هو المذهب الرسمي في مصر ، ولو لم أتبع هذه الطريقة لاصطدم القضاء بالفتوى

أما النوع الثاني فهو الفتاوى التي أصدرها في استفتاءات غير رسمية أو واردة من البلاد الأخرى ، وأنا في هذه الفتاوى لا أتقيد برسم يرسم ، ولا بقول من الأقوال في مذهب الحنفية ، وإنما أختار القول الذي أرى دليله راجحاً وأبين سبب رجحانه عندي ، وقد أذكر إلى جانبه الأقوال الأخرى إذا طلب المستفتي ذلك أو كان الأمر يستدعي ذكرها

قلت له : أتلتزمون في ترجيحكم دائرة المذاهب الأربعة المعروفة ؟

فقال : أنا لا أتقيد بالمذاهب الأربعة ، ولكني لا أخرج فيما أفتي به عن مذاهب العلماء من السلف والخلف . والسبب في ذلك أن الفقه الإسلامي غني جداً بأقوال العلماء وآرائهم فلا تكاد تجد مسألة من المسائل إلا وقد تعددت آراء الفقهاء فيها

بحيث لا تستطيع أن تجزم بأن رأياً تراه لم يقل به أحد العلماء من قبل ، فليس على الناظر فى هذه الثروة الطائلة إلا أن يختار أرجحها مصلحة ، وأقواها دليلاً ، وأشبهها بروح الشريعة ، وهذا هو الذى أسير عليه

سألت فضيلته : أكان من المفتين الذين سبقوا فضيلتكم فى دار الإفتاء المصرية من جرى على هذه الطريقة التى تسيرون عليها ؟

فقال : إن الفتاوى التى تحتفظ بها سجلات دار الإفتاء لا تدل على ذلك ، وإن كانت تدل فى كثير من الأحيان على فقه جيد ، ونظر سليم

قلت له : وفتاوى الأستاذ الإمام محمد عبده ؟

فقال : إن الناحية التى تجلت فيها مواهب الأستاذ الإمام الشيخ « محمد عبده » كانت هى إدراكه الصحيح لمعانى القرآن الكريم ، وفهمه الدقيق لأغراضه ، وتذوقه لأسلوبه ومعجز بيانه ، مع بصر عظيم بأحوال الناس ، وعبر التاريخ ، وأسرار تقدم الأمم والشعوب ، وسنة الله فى جميع الكائنات ؛ يؤازر ذلك قلب جرىء ، وجنان ثابت ، وعقل متصرف . وكان — رضى الله عنه — يعتمد فى فتاواه على إدراك روح الشريعة ، وتبين أغراضها العامة ، لا على مناقشة المذاهب ، وترجيح أقوال الفقهاء ؛ ولذلك تأتى فتاواه غالباً مختصرة ، وقد تثير خلافاً بين أهل العلم . ومن أمثلة ذلك أنه أفتى فتواه المشهورة بجواز لبس « البرنيطة » ، فقامت من أجلها ضجة هائلة بين العلماء وأهل الأزهر يومئذ ، فلما أردت أن أفتى فى هذا الموضوع انتفعت بموضع العبرة فيه ، فأخرجت فتواى التى تجيز لبس « البرنيطة » إخراجاً فقهياً مؤيداً بأقوال العلماء ، جارياً على طريقتهم في الاستدلال والترجيح ، وبذلك لم يستطع أحد أن يشغب على هـذه الفتوى أو يثير في شأنها جدالا

٢ — فى الرقابة العامة

شكرت فضيلة المفتى الأكبر على هذه المعلومات القيمة ، ثم توجهت إلى فضيلة المراقب العام أسأله عن آماله فيما يتصل بالتعليم الأزهرى العالى ، وعن أسلوبه فى العمل على تحقيق هذه الآمال فأجاب قائلاً :

— إننى أرجو أن تخرج لنا الكليات الأزهرية فى نواحيها المختلفة علماء يمتازون بميزتين :

إحداهما : القدرة على فهم مسائل العلوم فهماً صحيحاً واضحاً لا على استظهارها فحسب ؛ وإن لدينا من آثار الأولين لثروة عظمى فى سائر العلوم الدينية والعربيـة والكونية : في اللغة والنحو والصرف والبلاغة والأدب والفقه والأصول والتفسير والحديث وعلوم التاريخ والمنطق والفلسفة وأصول الدين والأخلاق وغيرها . لدينا كنوز مليئة بالخيرات تحتاج إلى من يفتح مغاليقها ويستفيد منها ؛ والأزهرى هو الذى يستطيع أن يفتح هذه المغاليق ، ويثير دفائنها ، وهو المطالب بأن يأخذها من مصادرها ، ويستخرجها من منابتها فى صبر ومثابرة وحسن إدراك

والوسيلة إلى ذلك هى غرس المحبة للعلم فى نفوس الطلاب والأساتذة فإن الذى يذوق لذة العلم لا يعدل بها لذة أخرى ، ولا تصرفه عنها صعوبة من الصعاب ، والشعور بلذة البحث أول أمارات النجاح

الميزة الثانية التى يجب أن يمتاز بها العالم هى القدرة على التصرف فيما يعلم ، لإفادة الناس به ، وتطبيقه عملياً فى جميع شئون الحياة

والوسيلة إلى ذلك فيما أرى هى تشجيع الكفايات العلمية الممتازة ، وبث روح العمل والإنتاج فى محيط أهل العلم

فإذا أخرجت الكليات هذا العالم الذى يمتاز بهاتين الميزتين أمكننا أن نرى رجالاً يدرسون قواعد البلاغة ومسائل الأدب ويكونون بلغاء وكتاباً وأدباء ، وأن نرى رجالاً يدرسون أصول الفقه ويكونون فقهاء ومرجحين ، وأن نرى علماء يستطيعون أن يدافعوا عن الإسلام ، ويردوا هجمات أعدائه بأسلوب هذا العصر وهكذا ...

٣ — فى جماعة كبار العلماء

قلت لفضيلته : لقد اطلع قراء الرسالة على تقرير اللجنة التى ألفتها جماعة كبار العلماء برياسة فضيلتكم للنظر فى المقترحات الهامة التى رفعها إليها بعض أعضائها ، فما الذى ترونه شخصياً فى هذه المقترحات ، ومتى يتم إعداد الوسائل للأخذ فى تنفيذها ؟

فأجاب فضيلته :

لقد سررت بهذه المقترحات العظيمة منذ أول لحظة ، وأعلنت رأيى هذا فى جلسة الجماعة الموقرة التى عرضت فيها هذه المقترحات

وقلت : إن جماعة كبار العلماء منذ تكوينها مطالبة بهذه الأعمال كلها ، فإذا كانت قد تأخرت فى الماضى عن القيام بهذا الواجب فلا ينبغى لها أن تتأخر بعد الآن ، ولا سيما فى عصر حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح الغيور على دينه : فاروق الأول أعزه الله ، وبأشراف الرجل العالم المصلح المؤمن بفكرته : فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى .

وهذه المقترحات لا يتردد أحد فى إدراك ما لها من فائدة جزيلة ، ولا فى وجوبها على جماعة كبار العلماء ، فتلك طوائف الأمة تتشاجر وتتشاحن باسم الدين فى كثير من الأشياء : أسنة هى أم بدعة ؟ أمن الدين أم ليست من الدين ؟ وهذه كتب التفسير والحديث بنظر فيها من يستطيع تمييز الغث والسمين ومن لا يستطيع ، وهذه شئون المعاملات التى جدت وتجد للناس ، وهم محتاجون إلى معرفة حكم الشريعة فيها بطريقة تقضى على النزاع ، وتقطع أسباب الجدل والخصومة ، وقد اتجهت أفكار المفكرين وآراء المصلحين إلى هذه الشريعة يلتمسون أن تكون نظام حياتهم ، وأساس مدنيتهم ، فلا بد لنا إذن من العمل ، ولا بد لنا من تلبية نداء الأمة ، وإعداد أنفسنا لهذه المهمة السامية .

أنا لا أزعم أن هذا العمل هين أو يسير ، بل أعتقد أننا سنحمل منه عبئاً ثقيلاً ، ونضطلع بمهمة شاقة ، ولكننى مع ذلك أعتقد أن تضافر القوى ، وتعاون الجهود ، والإخلاص لله ، وابتغاء وجهه الكريم ، كل ذلك كفيل بتسهيل الصعاب . لذلك كله أيدت اللجنة هذه المقترحات ، وأشارت بإنشاء مكتب علمى للجماعة تمهيداً للأخذ فى تنفيذها ، ورفعت رأيها فى ذلك إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر رئيس الجماعة ، وإنى ألمس من فضيلته عناية واهتماماً بهذه المقترحات ، وأعتقد أنها أصابت هدفه الأسمى فى الإصلاح الدينى والاجتماعى الذى يبتغيه جاهداً للأمة الإسلامية الكريمة ، وفقنا الله جميعاً إلى ما فيه خير الدين والوطن .

وهنا انتهى حديث فضيلة المفتى الأكبر ، واستأذنته فى نشره فأذن ، ثم انصرفت شاكراً .

م ...

دار الكتب الأهلية

ميدان الأوبرا مصر تليفون ٤٩٥٦١

يسرها أن تقدم لروادها وعملائها بعض مختاراتها النفيسة

ص		
١٥	عصفور من الشرق	للأستاذ توفيق الحكيم
١٥	تحت شمس الفكر	« « «
١٥	من البرج العاجى	« « «
١٠	سارة	للأستاذ عباس محمود العقاد
١٢	هتلر فى الميزان	« « «
٢٠	سعد زغلول	« « «
٥	هدية الكروان	« « «
١٠	صور إسلامية جزآن	« عبد الحميد المشهدى
٤	صور جديدة من الأدب العربى	« كامل كيلانى
٥	جمهورية أفلاطون	ترجمة الأستاذ حنا خباز
١٠	هكذا أغنى	للأستاذ محمود حسن إسماعيل
١٠	الادارة الاسلامية فى عز العرب	« محمد كرد على
١٠	التعاون	« أحمد لاشين
١٥	الوراثة وتحسين النسل	للأستاذ حسين الايارى
١٥	فى الطريق	« المازنى
١٢	ليالى الملاح التائه	« على محمود طه
١٥	الملاح التائه	« « «
١٠	أرواح شاردة	« « «
١٠	رجعة أبى العلاء	« عباس محمود العقاد
١٥	أسرار الحياة الزوجية	للدكتورة مارى ستوب
١٢	مشاهدات سائح فى دول الشمال	للأستاذ محمد بدران
٥	المحاماة قديماً وحديثاً	لعزيز خانكى بك
٥	زوبعة تحت جمجمة	للأستاذ محمود كامل المحامى
٥	فاتنى حياته وجهاده	« فتحى رضوان
٢٠	علم الاقتصاد ٥ أجزاء	تعريب خليل بك مطران

يضاف ٢٠ ٪ مصاريف إرسال

للدار قائمة تحوى أنفس الكتب الأدبية والعلمية والتاريخية والفلسفة وكتب الأطفال والصناعات واللغة والتجارة والاقتصاد والزراعة والموسيقى والقصص والروايات ، والكتب الدينية ترسل مجاناً لمن يطلبها . والدار تشترى الكتب من جميع اللغات.

جميع المراسلات ترسل باسم مديرها رشدى خليل